



مركز البحوث الإسلامي الإفريقي في الخرطوم

مجلة بحوث نصف سنوية

في هذا العدد

العدد الرابع — رجب ١٤٠٩هـ — مارس ١٩٨٩م

العلاقات العربية ـ الإفريقية

بعض الرؤى الفكرية والنظرية

بقلم أحمد محمد كاني

ترجمة وتلخيص ـ عبد اللطيف سعيد ـ المركز الإسلامي الإفريقي ـ الخرطوم

على كثرة ماكتب وقيل في العلاقات العربية الإفريقية إلا أنّ هذا الموضوع ظل معقداً وغير واضح في أذهان كل من العرب والأفارقة على السواء. وذلك مرده لأسباب داخلية وخارجية يبدو من خلالها الأفارقة والعرب وكأنهما يعيشان في عالمين منفصلين تماماً.

والسؤال الذي يواجهنا مباشرة هو : من هو العربي ومن هو الإفريقي؟ وهل نبحث عن إجابة هذا السؤال في حيز العنصر أم الثقافة أم الجغرافية؟ والعربي كما يقول محمد عمر بشير:تعبير مُربِك إذا ما فسر في الحيز الإفريقي فبعض الأفارقة يعتبرونه مطابقاً للإسلام وبالنسبة لهم"عربي"معناها"عربي مسلم، وذلك تفسير يتجاهل أقليات العرب النصارى الذين يعتبرون أنفسهم عرباً في المقام الأول وفي ذات الوقت يقولون إنهم بيض، في حين أن العرب لايعتبرون أنفسهم بيضاً لا من الناحية العرقية ولا من الثقافية ـ والخلطة الدينية العنصرية تخلق في أغلب الأحيان حاجزاً نفسياً بين العرب البيض والأفارقة السود.

وينظر بعض المفكرين السود إلى العلاقة التاريخية بين العرب والسود على أنها علاقة مستعمِر ومستعمَر، مستعمِر فرض ثقافته العربية وحضارته على ثقافة السود المحلية وهم يرون أن العرب،في التحليل النهائي،مستعمِرون كالأوربيين تماماً وفكرة السادة والعبيد التي تسيطر على تفكير هذه الطائفة من المفكرين الأفارقة جعلتهم يعتقدون أن التعاون العربي الإفريقي لا يعدو أن يكون تعاوناً بين جنس متفوق وآخر وضيع. وهذا الاتجاه تقويه نعرة القومية العربية في العالم العربي التي تنظر للعرب على أنهم جنس ذو ثقافة فريدة وتجربة تاريخية مشتركة.

ومما يزيد المسألة تعقيداً هو أن العرب الذين يعيشون في إفريقيا لايعدون أنفسهم أفارقة بل عربا متناسين أنهم سياسياً وجغرافياً أفارقة. وهذا النوع من التفكير الذي يحمله العرب الذين يعيشون على الأرض الإفريقية يعضّد الفكرة السالفة التي يعتنقها الأفارقة عن العرب من حيث أن العروبة في رأيهم دعوة ذات أبعاد عنصرية.

ولعل من المفيد أن نستقصي كيف ينظر العرب لأنفسهم، فهم على اختلاف مذاهبهم الفكرية يرون أن العروبة حياة تعاش وفكرة تمارَس، فهي تمثل بالنسبة لهم لغة

مشتركة وتجربة تاريخية وميراثاً ثقافياً مشتركاً وبالتالي أمة واحدة. أما الإسلام عند بعضهم فهو نتاج للعبقرية العربية ويمثل معلماً تاريخياً هاماً في مسار الحضارة العربية.

وهذه الأفكار غير مقبولة عند المفكرين المسلمين وعند شعوب العالم العربي الذين يعتبرون أنفسهم مسلمين في المقام الأول ثم أيّ شيء آخر بعد ذلك. وفي العالم العربي اليوم يزيد عدد الإسلاميين على عدد العروبيين. والإسلاميون يصنفون الناس على أساس المحتوى الفكري وليس على أساس اللون والجنس والبلد والتجمعات اللغوية.

أما العروبيون ومن لفّ لفّهم فيعتبرون أن النبي ﷺ شخصية سياسية التف حولها العرب بحسبانه مؤسس الأمة العربية المتحدة لا أكثر من ذلك ولا أقل. ونلاحظ هنا أنهم فيما يتعلق بالإسلام لايختلفون عن القوميين الأفارقة من أمثال جون قرنق الذين يعتبرون الدين شأناً خاصاً.

ويتعقد الأمر أكثر حينما ندرس حال بلد كالسودان في ضوء العلاقات الإفريقية ـ العربية حيث إن كلا من العربية والإفريقية تأخذ أشكال التعبير الفكري والاجتماعي والاقتصادي والثقافي وفوق ذلك كله التعبير العسكري.

إذ أن المثقفين السودانيين من عرب وأفارقة ممن تأثروا ثقافياً بالغرب لم يتفقوا حتى الآن حول هوية السودان. وهناك مدرسة منهم تقول بأن السودان في مجمله (شماله وجنوبه) قطر إفريقي عربي وهي وجهة نظر توحيدية وهي في رأيي هي وجهة النظر الأكثر موضوعية.

وبالطبع هناك وجهة النظر التقليدية التي تقول إن السودان الشمالي عربي وأبيض وإن السودان الجنوبي إفريقي أسود وهي على كل حال وجهة نظر تفريقية. وترجع في أصولها للثقافة الاستعمارية الكنسية التي بذرت بذور الفرقة في الشعب السوداني خلال الحقبة الاستعمارية.

أما العلمانيون ودعاة القومية المحدودة والماركسيون فقد تكتلوا مع الصفوة المتأثرة بالأفكار الغربية من رصفائهم الجنوبيين لمعارضة الإسلام بوسائل متباينة، وأبرزوا مسألة التنوع العرقي واللغوي في السودان باعتبارها عاملاً يؤيد معارضتهم للإسلام.

وقد حاول أحد أعلام العلوم السياسية وهو بروفسير مدثر عبد الرحيم تصحيح بعض الأخطاء العالقة بفكرتي العروبة والإفريقية فيما يتعلق بالسودان. فالإفريقية عنده هي مفهوم جغرافي سياسي يحمل في أحشائه أمماً مختلفة الأعراق والثقافات كالبانتو والبربر والعرب. والعروبة كذلك ليست مفهوماً عنصرياً ولكنها تعبير ثقافي يحتضن كل الشعوب التي تسكن قارتي آسيا وإفريقيا وتتكلم اللغة العربية بغض النظر عن الجنس واللون.

ثم أعطى نماذج لقبائل حدث فيها تحول سُلالي وثقافي من العروبة للإفريقية وأمثلة تحول سلالي وثقافي من الإفريقية للعروبة. وضرب بعرب ربيعة المثل في التحول للإفريقية وهم الذين ارتبطوا بإقامة أول دولة إسلامية في السودان ويسمون الآن ببني كنز وعلى نفس هذا المنوال تحول أفارقة للعروبة.

ومن ناحية أخرى نجد أن كولى اوموتوشو يمثل طائفة من الأفارقة المثقفين الذين يرددون المزاعم الصهيونية والاستعمارية ويرون أنهم سود عانوا من الاسترقاق والاضطهاد على أيدي العرب الغازين - وهو يعتبر الأفارقة السود جنساً يتميز بثقافة وتاريخ وحضارة خاصة حاول العرب أولاً ثم الأوروبيون من بعدهم طمسها والهيمنة عليها. وقد أبرز هذه الآراء في مجموعة مقالات نشرتها له السكو في عام ١٩٧٧م و ١٩٧٨م تحت عنوان «العلاقات العربية - الإفريقية». ويقول إن العرب الذين استولوا على شمال إفريقيا سابقاً يسعون للاستيلاء على جنوبها الآن. وكلامه هذا يعني أن الجزائريين والمغاربة والتونسيين والليبيين الذين يعتبرون نضال الشعب الأسود في جنوب إفريقيا جزءاً من نضالهم - هؤلاء في نظر كولى اموتوشو مستعمرون استولوا على إفريقيا بالقوة واستولوا على أهلها وحطموا ميراثها الثقافي. وهو يرى أن على الأفارقة التمسك بما بقي من حضارتهم بعيداً عن عدوان العرب.

وهذه المزاعم يجب تقويمها في ضوء الأثر المتنامي للإسلام في نيجريا وفي بلاد اليوربا خاصة التي ينتمي إليها الكاتب. ولعل قوله إن الاسلام والعروبة والحضارة العربية كلها نسيج واحد يصعب التمييز بين خيوطه المتشابكة. ينهض دليلاً على تفنيد دعواه لاسنداً لها.

ومن ناحية أخرى نجد أن أغلبية المسلمين الأفارقة وعلى الخصوص المفكرين الاسلاميين أمثال سليمان كومو، وإبراهيم سليمان وعثمان بقاجى وكونلى إسحاق ومالك انداجى وشيخ تورى ومحمد انداجى من نيجيريا والسنغال لاتعني القومية عندهم شيئاً أكثر من التعريف بالوطن ولكن همهم كله ينصب في تطبيق الشريعة الإسلامية كما كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. أما الإفريقية والعروبة فما هما عند هؤلاء المفكرين سوى قَبَلِيَّة جديدة مموّهة أوحى بها الاستعمار القديم ثم الجديد والتاريخ يخبرنا عن علاقة الناس الذين يعيشون جنوب الصحراء بإخوانهم في شمالها من خلال التراث الشفاهي والأساطير والأحاجي المتداولة في مجتمعات الفلانى والكانورى والهوسا وحتى اليوربا الذين ينتمي لهم كولى اموتوشو مما يعني وجود تكامل فكري وثقافي قديم بين الأفارقة والعرب يرجع تاريخه للحقبة الإسلامية الأولى.

ونرى أن القومية العربية والقومية الإفريقية فكرتان نشأتا في أحضان الفكر الغربي الذي لايفسر التقدم الإنساني إلا من خلال العنصر واللون. ونعتقد أن تقليل القوميين من شأن الدين هو منشأ كل هذه المصاعب.

ولو استوعبنا عبر التاريخ لرأينا رجالا مثل عبد الكريم المغيلى والسيوطى ومحمد ابن محمد الكاتسناوى والشيخ محمد الأمين الكانى ينتمون إلى الثقافة الإسلامية العريضة مع احتفاظهم بانتمائهم الإفريقي متجاوزين بذلك الحدود والروابط العرقية والقبلية. ولاشك أن نظرة أولئك الرجال كانت أكثر شمولا من نظرة مفكرى آخر الزمان هؤلاء المدفوعين

بالأفكار الغربية والذين لاتتجاوز أفهامهم البلاد التى يعيشون فيها.

إن الصهونية والاستعمار يمثلان عقبة أساسية أمام التعاون العربي الإفريقى حيث يطغى النفوذ الغربي على مصائر معظم البلاد العربية والإفريقية سياسيا وفكريا واجتماعيا واقتصاديا.

والاستعمار الغربي لايألو جهدا في التفريق بين العرب والأفارقة من خلال إثارة هفوات الماضى، وما تشجيع الدراسات التى تهتم بالأصول الوثنية للشعب الإفريقي تحت ستار إحياء التراث المحلى إلا أحد الشواهد القوية على ذلك. وعليه فقد فرض على الإفريقى أن يرى ذاتـه من خلال العرقية والقبلية والعنصرية، وبالتالى الإيعاز الخفى له بأنه وضيع بالمقـارنـة مع القوميات الأخرى. ولماذا لايخطر ببال الأفارقة التساؤل حول سبب تجاوز العرب والأوربيين للثقافات المحلية القاصرة الجاهلة وقبولهم لأفكار عالمية شاملة مستنيرة في حين أنه يفرض عليهم وحدهم الانغلاق في حيز المحلية والعرقية الضيق؟

ومن المؤسف أن نذكر أن بعض الدول الإفريقية أعادت سرا علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل هذا إلى جانب العـلاقـات الاقتصـادية العلنية. كل ذلـك ينبعث من خلال الانغلاق الذى فرض على الأفارقة كراهية العرب التى سيقوا إليها سوقا. وليس كراهية العرب فحسب، بل والنفور والخوف من الإسلام إذ أن بعض أدعياء الوطنية الإفريقية يضمرون خوفـا شديدا من الإسـلام، ويتضـح ذلـك في رفضهم لأن تنضم نيجيريا لمنظمة المؤتمر الإسلامى على زعم أنهم أفارقة ولاشأن لهم بذلك قائلين بأن الانضمام لأية منظمة إسلامية أو عربية سيؤدى لضرب الـوحـدة الوطنية النيجيرية، متناسين أن نيجيريا حينما هددت وحدتها بالانهيار في أثناء الحرب الأهلية عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧م لم تجد لها نصيرا غير العرب والمسلمين في حين أن بعض البلاد الإفريقية كتنزانيا وساحل العاج قد أيدت الانقساميين في بيافرا على أسـس سياسية ودينية. ولعل الذعر من كل ما هو إسلامي هو الذي جعل رجلا مثل بلا عثمان يصنف أقوى دولة إسلامية في كل إفريقيا في القرن التاسع عشر وهي دولة "الصكوتو" بأنها لاتعدو أن تكون دولة اصطياد للعبيد والنهب والغنائم وفرض الجزية.

توغلت الصهونية في إفريقيا في مجالات الاقتصاد والسياسة والدبلوماسية منذ عام ١٩٦٠ عندما تسللت إسرائيل إلى القارة تحت ستار أن إفريقيا السوداء تحتاج للدعم الفني وخاصة في مجال الزراعة، وبذلك تستطيع إسرائيل أن تملأ الفراغ الذى خلفه الاستعمار. ولقد كانت فرصة نادرة للعرب بعد حرب رمضان عام ١٩٧٣م أن يكشفوا للأفارقة طبيعة إسرائيل التـوسعية وقـد نجحـوا في أن يجعلوا كثـيرا من البلاد الإفريقية تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل لكنهم لم ينجحوا في سد الفراغ الذى خلفته تلك المقاطعة في إفريقيا ويرجع ذلك لقلة المعرفة بإفريقيا ثم لسوء التخطيط. وتحت تأثير الصهيونية والإمبريالية أحجمت كثير من الدول الإفريقية عن قبول الدعم لمشروعاتها من الدول العربية الغنية علاوة على أن بعضها رفض الدعم خوفا من المذهبية السعودية والتسييس الليبى. ثم إن

اتفاقية كامب ديفيد قد أفسحت المجال لبعضهم أن يقول إنهم إنما قاطعوا إسرائيل بسبب مصر الدولة الإفريقية التى سلبت أراضيها بسبب العدوان الإسرائيلي أما الآن وقد استعادت مصر أراضيها وعلاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل فإن الأفارقة لا يجدون مبررا لقطع العلاقات مع إسرائيل من أجل العرب والفلسطينيين . وهذا منطق أعرج يتناسى الدفاع عن العدالة وحقوق الإنسان ويتجاهل أن العرب يقاطعون جنوب إفريقيا العنصرية. إضافة إلى حقيقة أن أكثر رجال الأعمال فى جنوب إفريقيا من الصهيونيين الذين يبتزون الأفارقة لمصلحة إسرائيل تحت حماية جنوب إفريقيا ثم يجيء دور الكنيسة التى سعت بالتعاون مع الصهيونية والإمبريالية لحرب الإسلام الذى سيغير الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمصلحة المقهورين هذا وقد نشطت في الآونة الأخيرة بعد ظهور الصحوة الإسلامية حركة بعث منظمة في جامعات غرب أوروبا وجامعات إسرائيل لتوثيق نشاط الجامعات الإسلامية كالأزهر ومنظمة الدعوة الإسلامية في ليبيا والمركز الإسلامى الإفريقي بالخرطوم بقصد الاستفادة من نتائج ذلك في خلق جو من الهلع عند الأفارقة المسيحيين من المجاهدين القادمين ومن عودة مايسمونه بالاستعمار العربي لإفريقيا. وعلى الرغم من أن العلاقات العربية الإفريقية في فترة ماقبل الاستعمار كانت أقوى منها الآن إلا أن الغرب واليهود قد أغفلوا ذلك عن عمد ولم يركزوا إلا على استعباد العرب للأفارقة. والكنيسة لاترى فى ظلم الفلسطينيين وطردهم من ديارهم شيئا يستحق الاهتمام ولكنها ترى أن انتصار إسرائيل هو فى حقيقته تحقيق لنبوة إنجيلية تقول: « وسأبارك من يباركونك وسألعن من يلعنك ومن أجلك سأبارك في كل شعوب الأرض. » وعليه يتعين على كل مسيحى ألا يكتفى بتأييد وجود إسرائيل، بل عليه أن يؤيد سياساتها التوسعية. ولاتكف دعاياتهم عن تصوير إسرائيل للأفارقة كدولة متحضرة مكتفية ذاتيا وقوية في مقابل العرب العنصريين المتعصبين. أما كونها دولة متسوّلة تعتمد على الهِبَات التى تأتيها من قوى الإمبريالية والصهيونية التى تستغل الضعفاء فذلك أمر يجب ألا يلتفت إليه.

كما أنه قد صُوِّر للأفارقة وخاصة النصارى منهم أنه من المستحيل تدمير إسرائيل لأن السماء قد ضمنت صيانتها وبقاءها - خلاصة ذلك أن لا أحد يستطيع أن يحطم كنيسة الله.

وعليه فإن على إفريقيا ألا تتعامل تعاملا سطحيا مع إسرائيل بل عليها أن تعمق علاقاتها معها، هذه الحجة تُساق من قبل الكنيسة والصهيونية، وهما يصفان إسرائيل بأنها دولة تصارع للبقاء فى خضم تهديدات الفناء وتنجح في ذلك وأنها جعلت من الصحراء القاحلة جنة وأنها خلقت نظاما مستقرا قوامه مهاجرون من مختلف الجنسيات، ثم إنها صاحبة أقوى نظام أمن فى العالم.

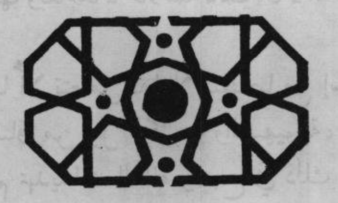
وفي منشور للكنيسة النيجيرية أورد مايلي: "يجب أن نكون محايدين في الصراع العربى الإسرائيلى ويجب أن ندحض علنا تلك الفكرة الشائعة في نيجيريا من أن كل ما هو

إسلامي هو الشيء الصحيح وبما أن لنا علاقات مع العرب فيجب لأسباب دينية وجغرافية أن تكون لنا علاقة مع إسرائيل خاصة واننا نتخذ سياسة عدم الانحياز مبدأ أساسيا في سياستنا الخارجية". لاحظ هنا أن الحياد قد اتخذ ذريعة لإعادة العلاقات مع إسرائيل.

وتردد الدعاية الصهيونية أن للعرب علاقات مع جنوب إفريقيا بل تزعم أن صادرات العرب لجنوب إفريقيا تفوق ماتصدره إسرائيل إليها بقدر كبير ومن المثير للدهشة أن هذه الدعاية تغفل تماما ذكر العلاقات الإفريقة مع جنوب إفريقيا إذ أن عددا من دول إفريقيا لها علاقات دبلوماسية اقتصادية مع جنوب إفريقيا.

خلاصة البحث:

يخلص الكاتب إلى أن دعوتيّ القومية العربية والقومية الإفريقية دعوتان ذواتا مردود سلبى فكلاهما رد فعل لحركات الاحتلال الأوربى، وأن العلاقات العربية الإفريقية يجب أن تتجاوز المفهوم القومى الضيق إلى آفاق من التعاون المشترك بين الأفراد وأن تكون المنشآت والمشاريع العربية بمثابة وعاء لهذا التعاون سعيا نحو إزالة آثار الاستعمار الجديد، القائمة على الاستغلال الاقتصادى. وعلى الأفارقة أن يفهموا أن الإسلام في إفريقيا دين أصيل يوحّد ولايفرق. ومما يعزز هذا المفهوم نبذ الخلافات الحزبية والطائفية في سبيل تحقيق الأهداف العليا التى يحققها التعاون المشترك في كل المجالات الثقافية والتعليمية والاقتصادية والتقنية.



BIBLIOGRAPHIE

(3) Le saint Coran. Sourate 2 - verset 217.(Traduction de M. Hameduallah, 1973
(19) Le saint Coran. Sourate 13 - verset 11..(Traduction de M. Hameduallah, 1973
(22) Le saint Coran. Sourate 5 - verset 44.
(1) Amar SAMB L' Islam et L histiore du' senegal, Bulelletin de I. I. F. A. N. Txxx III, et 03, P. T. 1979.
(2) Ibid, P. 31.
(4) Cheikh Abdul Aziz Sy, Etudes Islamiques Mouharam 1404, Sep. 1985.
(5) Jama Ibadul Rahman - Recommandation Issues de la semaine de (TAWHIED) P. 1, 1401 Thies - Senegal.
(6) Le Musulman, No, 1, P. 4. Mars 1982 Dakar.
(7) Ibid. No 1, P. 4 Mars 1982, Dakar.
(8)Ibid, No, P. 4. Mars 1982, Dakar.
(9) Ibid, No, 2. P. 2, 1402. 1982 Dakar.
(10) Afrique Musuiamne, No, 6. P. 6. Aout 1982 Dakar.
(11)Ibid, No, 2. P. I 1982 Dakar.
(12) Ibid, No. 6, Aout 1982 Dakar.
(22) Ibid, No, 6. Aout 1982 Dakar.
(13) Ibid, No, 6. P. 12 Aout 1982 Dakar.
(4) Ndigel, No 13 P. 4 - Mars Avr. 1984.
(5) Ibid, No 13, P. 22 -
(16)

د. عامر صعب، الأدب السنغالي العربي صفحة ٢٧٤ الجــزائــر ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(17) Ndig. oP. Cit - P. 25.
(18) Ibid, P. 11.
(20) Etudes Islamiques, No, 11, 1401, 1982 Dakar.
(21) Ibid, No 20, P. 5 - 7, 1404 1983 Dakar.
(23) Walfajri, No 1, P. 2, 1404, 1984, Dakar.
(24) Ibid, No 2. P. 2. 1404, 1984.
(25)

مجلـة المسـيرة، وزارة الأعلام السنغالية، عدد ٧٦ ١٩٨٤ داكار.

(TABLEAU a) (AUTERES INFORMATIONS)

Titres des journaux Islamiques	Appartenance	Le Directeur de Publication (Adresse)	Date de Lancement	Prix
Etudes Islamiques دراسات اسلامية	Al Hadji Chiekh Touré	Al Hadj Chiekh Touré Sicap liberte III Villa No 1939 B. P. 10261 Dakar Liberte Sénégal	1979	350 FRC-CFA
Afique Musulmane أفريقيا المسلمة	(F. A. I. S) Fédération des Assoc ation Islami - ques du	Chiekh Abdul Aziz Sy. Junior. Canal IV. Pointe B. P 7141 Dakar-sénégal.	1981	300 FRC-CFA
Le Muslman المسلم	L Association Islamique de (IBADUL RAHMAN)	Chiekh Alioune Diouf Thies. B. P. No 280 Quartier Diamagvene Senegal	1982	250 FRC-CFA
Walfajri والفجر	Lamine Niass	Lamine Niasse Rue 20X27 Medina B. P. 576 Dakar Senegal	1984	300 FRC-CFA
Almassira المسيرة	Ministere de L'information	Alhaj Syella	1960	Gratuit
Le Reveil Islamique اليقظة الإسلامية	L, U. C. M. Union culturelle Muslmane	Ahmed Iyane Thiam. B. P. 1341 Dakar Séngal	1985 ?	300 F
Alafkar الأفكار	Union National des journalistes Arabi sants.?	Alhaj Syella B. P. 2283 Dakar Senegal	1980	$
Nidigel	Mouvement Islamique Mourides B' Europe (Mime)	Chiekh Abdalla Diex 41 Rue des Chateaux 93403 St: Ouen B. P 114 cedex.		200 FRC-CFA

Note: l' Dollar : 400 FRC - CFA.